الفصل الخامس

زرع إسرائيل

من أكبر العوائق التى وضعتها أوروبا فى طريق الإسلام قيام دولة إسرائيل على أرض فلسطين . إنها - أوروبا - نجحت إلى أبعد حدود النجاح حين أقدمت على هذه الخطوة ونفذتها ورعتها وحمتها من كل سوء . وإذا نحينا جانباً مشكلة تشريد الشعب الفلسطينى العربى المسلم ، تشريده من أراضيه وديارة ووطنه ، والإلقاء به فى مهب الريح بلا مأوى ولا ملاذ . إذا نحينا هذه المشكلة جانباً نجد أنفسنا أمام مشكلات أخرى أوجدها قيام هذه الدولة ، وتتلخص تلك المشاكل فى الأعباء الضخام التى ناءت بحملها ثلاث دول إسلامية عربية مجاورة لإسرائيل وهى : مصر ، وسوريا ، والأردن . أعباء أقعدت هذه الدول عن بناء نفسها ، واستنفدت مواردها المادية والمعنوية لأمر يراد وخطط تدبر . إنه الثأر من الإسلام نفسه كوسيلة من الوسائل التى وضعتها أوروبا لتحطيم القوة الإسلامية ، وشغل المسلمين عن أن يصبحوا قوة عالمية لها وزنها إذا ما تُركوا وشأنهم . والإجابة على السؤال الآتى تكشف عن خطوط المؤامرة الأوروبية ضد الإسلام والسؤال : كيف قامت دولة إسرائيل على أرض المسلمين التى ظلت فى أيديهم أكثر من ثلاثة عشر قرناً ؟ وهى لم تكن خلاء . بل كان فيها شعب مسلم أصيل ؟!

والجواب .. حديث ذو شجون :

فى مأساة فلسطين تجمّعت كل ألوان الظلم والقسوة على أحد طرفى النزاع (العرب) ، وانحازت كل مشاعر الود والحنان والمحاباة ، بل والتدلل ، إلى جانب الطرف الآخر (اليهود) ، وتآمرت أوروبا كلها ، وروسيا ، على بلد إسلامى ، وشعب مسلم ، بل وعلى الإسلام نفسه .

وكان اليهود موزّعين على دول أوروبا بنسب متفاوتة ، وموجودين بروسيا وغيرها من دول الكتلة الشيوعية ، بنسب متفاوتة كذلك ، وعاش بعضهم - بعد الحرب العالَمية الثانية - لاجئين فى معسكرات وخيام خاصة بهم ، وصاروا عبئاً ثقيلاً على الدول المقيمين بها ، رغم أن اليهود كانوا قد شاركوا فى صنع الحياة للدول التى كانوا مواطنين بها ، وبخاصة فى مجال التقنية والاقتصاد . وكانت لليهود عامة مشكلة أو قُلْ أحلام لم تفارقهم لحظة ، ولا وهم نيام ، ولا وهم أيقاظ ، تلك الأحلام رضعوها مع ألبان أمهاتهم من أمهم الكبرى : « التوراة » وما أضيف إليها من الأسفار المقدّسة وغير المقدّسة .

إنها حكومة الكون أو المملكة الكونية والسيادة على شعوب الأرض كلها لا فرق بين مسلم وغير مسلم . وامتلاكهم لخزائن المال عن طريق الربا الفاحش ، واتجارهم فى الذهب جعل لهم ثقلاً ملحوظاً فى الأقطار التى يعيشون فيها ، وبخاصة فى فرنسا ، وإنجلترا ، ثم أمريكا حين بدأت تأخذ مكانها بين القُوَى العظمى ، وتمكنوا أن يحصلوا على صفة « المواطنة » فى دول أوروبا ، وتولى كثير منهم مناصب حسّاسة فى تلك الدول : سياسية ، وعسكرية ، وعلمية ، وإعلامية .. إلخ .. إلخ

ومكّنتهم هذه « المزايا » من ممارسة الضغوط على أجهزة السياسة العليا فى دول الغرب العظمى . وفى روسيا كذلك بعد الثورة الحمراء ..

ومن خلال هذه « المؤثرات » أخذوا يخطون خطوات جادة نحو تحقيق الأمل

المنشود ، وهو قيام وطن قومى لهم فى فلسطين . أو قيام دولة يهودية تجمع شتاتهم . وتحقق لهم هذا الأمل من خلال بداية على يد بريطانيا ، ثم رعاية لاحقة على يد أمريكا . وقامت دولة إسرائيل .

* *

● توطين مُشَرَّدين .. وتشريد مُوَطَّنين ؟!

هذا هو ملخص مأساة فلسطين : توطين مُشَرَّدين هم اليهود ، وتشريد مُوَطَّنين هم شعب فلسطين العربى المسلم .

بدأت فصول المؤامرة على يد إنجلترا بوعد « بلفور » المعروف . وأرادت إنجلترا أن تبر بوعدها فأصرَّت عند توزيع تركة الرجل المريض (تركيا) أن يكون جنوب سوريا (فلسطين) من نصيبها . وغالبت فرنسا على هذا التوزيع فرضيت فرنسا .

وأخذ اليهود فى الهجرة إلى فلسطين لا من بريطانيا وحدها ، ولكن من جميع الدول التى كان يستوطنها اليهود غرباً وشرقاً . وصحا العرب هذه المرة لأصول اللعبة أو عرفوا خيوط المؤامرة ، فقد أزعجهم من قبل العلم بوعد « بلفور » فثاروا ، ولكن المسكنات لدى « الدهاة » كانت جاهزة . فتجرعها العرب على مضض . ومن تلك المسكنات ما كان يقوم بصنعها اليهود أنفسهم ، فقد قام الدكتور « وايزمان » اليهودى المعروف ذو الجهود النشطة فى قيام الكيان الصهيونى . قام بزيارة للملك فيصل حينذاك وطمأنه بأن هجرة اليهود إلى فلسطين لا ضرر يُخشى منها على العرب . إنهم ما جاءوا إلى فلسطين - يعنى اليهود - إلا لترشيد العرب ولنقل أصول الحضارة الحديثة إليهم . وابتلع صاحب الجلالة هذا المسكِّن . وغاب عنه وعن أمثاله قول الحق : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ ﴾ (١) .

* *

(١) النساء : ٧١

● حلول عربية :

وحين تحركت دول أوروبا لتمكين إسرائيل - بكل إخلاص - على أرض فلسطين ، وإعلان قيام الدولة اليهودية ، عالجت الأمر فى الظاهر بأنه حَلٌّ لمشكلة اللاجئين اليهود ، وكثير منهم كان يقيم فى معسكرات عقيب الحرب العظمى . وصدَّق العرب - مرة أخرى - ألعوبة الدهاة ، فما كان منهم إلا أن تقدَّموا بحلول مخلصة من بنات أفكارهم . وقدَّموا مذكرات شرحوا فيها موقفهم ثم تقدَّموا بطلبين لإنهاء مشكلة اللاجئين اليهود ، وهما :

١ - يُطلب من البلاد الأصلية أن تقبل إعادة اللاجئين اليهود الذين أُخرجوا منها (يعنى فى أثناء الحرب) وأن تُقدَّم لهم كل المساعدات الممكنة من أجل استيطانهم .

٢ - أن تستوعب بلاد الدول الأعضاء فى الأمم المتحدة - كل بالنسبة لمساحتها ومواردها الاقتصادية ، ودخل الفرد فيها وعدد السكان والعوامل الأخرى المتعلقة بهذا كله - جميع اللاجئين اليهود ، ومَن لا مأوى لهم ممن لا يمكن إعادتهم إلى مواطنهم الأصلية » .

حلول إنسانية معقولة كما ترى . ومعنى هذا أن العرب - باعتبارهم أعضاء فى هيئة الأمم - كانوا على استعداد أن يقبلوا حصتهم من لاجئى اليهود حسب الخطة التى وضعوها . وعند التصويت على المشروع العربى وافق عليه ١٦ عضواً ، وصوَّت ضده ١٦ عضواً ، وامتنع عن التصويت ٢٣ عضواً ، وتغيَّب عن جلسة التصويت عضوان . وباء المشروع بالفشل لا لشئ إلا لأن « الدهاة » لا يريدونه . وإنما يريدون : « فلسطين » وطناً لليهود ؟!

والحق يقال : إن الديبلوماسية العربية كانت يقظة إلى أبعد الحدود وبذلت جهوداً ملموسة للحفاظ على كيان فلسطين ، بَيْدَ أنهم لم يكونوا يملكون إلا سلاح الكلمة . وليس لهم ثقل فى هيئة الأمم التى كانت تسيطر عليها أمريكا وبريطانيا والدول العظمى

كانت أوروبا لا تريد إلا تقسيم فلسطين ، وقد ناضل العرب نضالاً ديبلوماسياً رائعاً للحيلولة ضد إمضاء قرار التقسيم . واحتُجوا بالمواثيق الدولية وبالعوامل الجغرافية والتاريخية والسياسية . ووقفوا وقفات عادلة وقوية . ومع هذا فقد تم قرار التقسيم ، وتدفقت الهجرات اليهودية إلى فلسطين ، وأعلنت إسرائيل قيام دولتها . وأخذت تعتدى على عرب فلسطين ، فتوقع بهم المذابح ، وتطردهم من أراضيهم ومنازلهم وتُلقى بهم فى الأراضى « البور » فإذا استصلحوها وعمروها جاء اليهود فطردوهم منها إلى أماكن قاحلة غيرها ... وهكذا .

وكانت بريطانيا تشدِّد على عرب فلسطين وتمنع تسليحهم بأى نوع من أنواع السلاح . بينما تتساهل مع اليهود فتتركهم يتسلحون بما شاءوا ، بل إن كتائب اليهود كانت تتدرب على فنون القتال تدريبات ظاهرة للعَيان فى معسكرات تدريب مخصوصة . كل هذا تراه بريطانيا فلا تمنعه ، بل هى تشجعه . هذا بالنسبة لليهود فحسب ؛ لأنهم مؤهلون للقيام بمهمة خطيرة لا ضد الفلسطينيين فحسب ، بل ضد كل العرب ، وضد الإسلام ، ذلك العملاق المخيف .

تم قرار التقسيم ، وتم إعلان دولة اليهود ، واشتد اضطهاد اليهود للعرب المسلمين ، والعرب المسيحيين معاً . وغضب العرب لهذا كله ، ولما دخلت الجيوش العربية فلسطين احتجاجاً على الأوضاع الظالمة التى لحقت بفلسطين نفسها ، وبسكانها ، وبالعرب جميعاً ، وعلى الرغم من الخيانات التى وقعت ، والأسلحة الفاسدة التى ظهرت فى أيدى الجنود العرب ، كانت القُوَى المساندة لإسرائيل ، والمزوِّدة لها بالمال والسلاح إذا أحست بتفوق العرب على إسرائيل سارعت لعقد هدنة بين الطرفين المتقاتلين . لكى تسترد إسرائيل أنفاسها ، وتعيد تنظيم قواتها ، وتحصل على مزيد من السلاح .

وكانت النتيجة أن شُرِّد الشعب الفلسطينى من وطنه التاريخى العريق . وجىء باليهود من مختلف الدول فاستوطنوا فلسطين : وطنيون يُشَرَّدون ، ومشرَّدون يُوَطَّنون ؟! نعم هذا هو منطق القوة والظلم ، وإذا كانت إنجلترا قد ألقت بكل ثقلها لمساندة اليهود داخل فلسطين فإن أمريكا ألقت ثقلها لمساندة

إسرائيل فى المحافل الدولية وحتى روسيا كان لها نصيب ملحوظ فى مساندة إسرائيل . قُوَى عظمى تحالفت مع الشيطان من أجل إسرائيل . وقد وصف بعض سياسى الغرب سياسة أمريكا فى تلك الأثناء بأن أمريكا لم تكن تفكر فى شئ إلا فى توطين اليهود على أرض فلسطين ..!!

وبقيام دولة إسرائيل ، وتوسعاتها المستمرة بالإغارة على أراضى العرب ، واحتلال أجزاء حسَّاسة منها ، وبعدوانها المستمر على الدول العربية « الطيبة » وعلى خيام اللاجئين ، بهذا كله ضمنت القُوَى المعادية للإسلام وضع آفة قاتلة فى جسم الأمة العربية الإسلامية تهدد أمنها ، وتمنع تقدمها ما استطاعت .

فمثلاً مصر - الدولة العربية الكبرى - تعرَّضت لخوض أربع حروب مع إسرائيل أودت بخيرة شبابها ، واستنفدت مواردها ، وأضير اقتصادها واحتاجت إلى التعامل بالربا الفاحش مع سادة إسرائيل ، واضطرت مصر أن تمنح الدول صاحبة الديون شيئاً من الولاء السياسى منعها من التمتع بالسيادة الكاملة على أراضيها ، وبالتخلى عن واجبات دولية مهمة تجاه شقيقاتها الدول الإسلامية والعربية .. مصر - هذه - لو لم تخض تلك الحروب مع إسرائيل . لو كانت وجِّهت نفقاتها الباهظة على الحروب الأربع فى إصلاح شأنها الداخلى فاستصلحت أراضيها البور ونمَّت مواردها الزراعية والصناعية ، لو كان هذا قد حدث لأنتجت ما يكفيها لأمنها الغذائى ، ولصدَّرت ما يزيد عن حاجتها ، ولملكت أمرها بيدها ، ولصارت كفؤاً لأرقى الدول المعاصرة . ولكنها منيَت بإسرائيل فتخلَّفت عن الركب : جائعة البطون ، عارية الظهور ، حافية الأقدام . ومَنْ كان هذا حاله فلا مناص له من أن يدور فى فلك غير فلكه . ومَنْ وجد الإحسان قَيْداً تقيَّدا ؟!

وليس هذا حال مصر وحدها فلها نظائر وشركاء فى الفقر والاستدانة ، إن أوروبا تتبع مع العالَم الإسلامى - منذ حين - السياسة التى كان يريد منافقو المدينة المنوَّرة أن يتبعوها مع المهاجرين . وقد صاغوا تلك السياسة فى عبارتين نستأذن القارىء فى ذكرهما :

العبارة الأولى تقول : « سمِّن كلبك يأكلك » ؟!

والعبارة الثانية تقول : « جوِّع كلبك يتبعك » ؟!

وأوروبا تعمل - دائماً - على إجاعة العالَم الإسلامى بعامة والعربى بخاصة ، لتضمن تبعيتهما لها ، لكى يظل العملاق (الإسلام) فى نوم عميق .

* *

● ثلاثة مقاصد لإسرائيل :

أما إسرائيل فلها ثلاث أمنيات فى الحياة ، تحققت إحداها وبقيت اثنتان :

١ - قيام دولة لإسرائيل على أرض فلسطين .. وقد تحققت .

٢ - قيام دولة لإسرائيل من النيل إلى الفرات .. وهى تعمل الآن لتحقيقها .

٣ - قيام حكومة كونية يكون اليهود هم الأسياد فيها ، وغير اليهود هم الأرِّقاء والعبيد . وهذا هو الأمل الأكبر الذى يراود أحلام اليهود . وقد وعدتهم به توراتهم المحرَّفة وكتبهم المقدَّسة ، واللّه من ورائهم محيط .

* *

● لا .. لن يكون :

دولة إسرائيل قائمة على التوسعات والأطماع . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى كانت قُوَى الغرب تنظر إلى « فلسطين » على أنها لا أقول « مهجر » وإنما أقول « مصفاة » لليهود الموزعين فى أوروبا لكى يتجمعوا فيها . يؤكد ذلك تصاعد أرقام المهجَّرين إلى فلسطين من اليهود فى السنوات الآتية :

ففى سنة ١٩٣٣ جاء إلى فلسطين ٣٠ ألف يهودى . وفى سنة ١٩٣٤ ارتفع الرقم إلى ٤٢ ألفاً ، وفى سنة ١٩٣٥ وصل الرقم إلى ٦١ ألفاً .. (؟) .

وتقول الحقائق إن عدد اليهود الذى دخلوا فلسطين خلال فترة الانتداب البريطانى وقبل إعلان قيام الدولة اليهودية بلغ أكثر من ٦٠٠ ألف يهودى ..

وقد أبدت دولة قبل الحرب العظمى الثانية ، وهى بولندا ، رغبتها فى أن تتخلص كل سنة من ٧٠ ألف يهودى من يهودها بالهجرة إلى فلسطين ، كما تقدَّم الرئيس الأمريكى لحكومة بريطانيا أن تسمح بدخول ١٠٠ ألف يهودى من يهودها إلى فلسطين ، وفى نفس الوقت أصدر مجلس الأمة الأمريكى حينذاك قانوناً يحظر على أى يهودى دخول الولايات المتحدة ؟! إن أوروبا كانت ترى فى اليهود شراً يجب إبعاده منها . وإلى أين ؟ إلى فلسطين العربية المسلمة . فما هو سر تجمع اليهود فى فلسطين يا تُرى ؟ هل هو البقاء فى نصيبها بمقتضى قرار التقسيم ؟ أم لها نيَّة أخرى ؟

بن جوربون رئيس وزراء إسرائيل الأسبق حين سُئِل وهو يتحدث عن هجرة اليهود إلى فلسطين : هل سيقيم اليهود القادمون داخل الحدود التى أقرها قانون التقسيم لليهود ؟ أجاب : « أشك فى ذلك . وما كنا لنخوض هذه الحرب للاكتفاء بهذه الدولة الصغيرة » (؟!) .

وكان الرجل صريحاً كل الصراحة حين أجاب على السؤال . والخطوة التى ترتقبها إسرائيل الآن قيام دولة من النيل إلى الفرات (؟!) .

وهذا رهن بالأوضاع العربية الإسلامية .. والمستقبل بيد اللّه . فإذا أعدَّت الأجيال القادمة العُدَّة لأطماع هذا العدو ، وتحررت من التبعية للغرب . وأقامت أمرها على كتاب اللّه وسُنَّة رسوله ، وأنتجت بيدها أساسيات حياتها فإن الأمل كبير فى تصحيح الأوضاع الراهنة .. ووقف العدو عند حدوده حتى يفعل اللّه ما يريد .

إن الذى أضاع فلسطين هو ضعف العرب والمسلمين ، وصيرورتهم دمىً متحركة فى أيدى عدوهم . فهل تأخذ الأجيال القادمة العِبرة من الماضى القريب ، والحاضر القائم ؟!

أما الحكومة الكونية التى تحلم بها إسرائيل ، ووعدتها بها توراتها فلا ولن تكون أبداً ، لأن الوعد بها كاذب . فهو من خيالات أحبارهم ورهبانهم الذى حرَّفوا التوراة وأرادوا من هذا الوعد ثقة اليهود فى أنفسهم ، بعد أن دمرتهم أحداث التاريخ القديم والجديد . والذى سوف ينفذ فيهم هو وعيد القرآن : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ العَذَابِ .. ﴾ [1] لأن وعيد القرآن من كلام اللّه وهو أصدق القائلين . ووعد التوراة خرافات وأوهام .

* * *

(١) الأعراف : ١٦٧

obeikandl.com